بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 60 الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق

الدرس: تفسير القرآن الكريم المبحث: سورة الإنسان

التاريخ:29\11\2023 م كتبه: عبدالله ضيف الستري

الآية الواحدة والعشرين قال تبارك وتعالى: ﴿عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُورا﴾.

هذه الآية المباركة هي الآية الأخيرة مما أعدَّه الله سبحانه وتعالى من نعم للأبرار، وبهذه الآية نطوي صفحة بيان النعم التي أعدَّها الباري تبارك وتعالى للأبرار. فإذاً ما زلنا سياق واحد.

هذه الآية كما نلاحظ يوجد فيها ثلاثة مقاطع:

المقطع الأول: الثياب التي يرتدونها.

المقطع الثاني: الزينة التي يتزينون بها.

المقطع الثالث: الشراب الذي يسقونه.

أما المقطع الأول: كلمة ﴿عالِيَهُمْ﴾ قرأت بين القراء السبع بقراءتين:

القراءة الأولى: القراءة المشهورة هي ما هو موجود أمامنا في المصحف ﴿عالِيَهُمْ﴾ بفتح الياء.

القراءة الثانية: قراءة نافع وحمزة، قرأت ﴿عالِيْهِمْ﴾ بسكون الياء وكسر الهاء.

حينئذ وقع الكلام على كلا القراءتين في محل هذه الكلمة إعرابياً، فعلى قراءة نافع وحمزة حينئذ يمكن أن نقول إن هذه الجملة جملة خبرية مؤلفة مبتدأ وخبر، أي ﴿عالِيْهِمْ﴾ يعني ما يعلوهم وما يرتدونه هو ثياب سندس، فتكون جملة اسمية مركبة من مبتدأ وخبر.

ومن ناحية موقعيتها في المعنى، تكون هذه الآية من الجمل الاستئنافية بالاستئناف البياني، الجمل الاستئنافية بالاستئناف البياني هي تلك جمل التي تأتي للإجابة عن سؤال مقدر، أحياناً يكون السؤال محقق كما في بيت الشعر:

قالت لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

ففي الشق الأول من بيت الشعر السؤال محقق؛ إذ السؤال موجود في صدر البيت. وفي الشق الثاني هو جواب عن سؤال مقدر، أي لما أنت عليل؟ فقلت سهر دائم وحزن طويل.

فالجملة التي تأتي جواباً عن سؤال مقدر تكون جملة مستأنفة، ولأجل ذلك شرط علماء البلاغة فيها أن لا تعطف بالواو؛ لأن الجواب لا يعطف على السؤال بالواو، سواء أكان السؤال محققاً أم كان السؤال مقدراً.

فهنا عندما جاءت الآية السابقة ﴿وَإِذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾ كأن السائل يسأل: كيف هذا النعيم والملك الكبير؟ فبين له ذلك، فهذا بيان واستئناف وجواب عن سؤال مقدر، فقال: ﴿عالِيَهِمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ هذا على القراءة غير المشهورة.

أما على القراءة المشهورة المسطورة في المصاحف في أيامنا ﴿عالِيَهُمْ﴾ الكلمة منصوبة، فهذه جماعة قالوا إنها منصوبة على الظرفية. نظير قوله تبارك وتعالى: ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُم﴾[1] فـ ﴿عالِيَهُمْ﴾ بمعنى ظرف، وحكم الظرف حينئذ منصوبة على الظرفية.

وجماعة آخرين قالوا منصوبة على الحالية، فذكر تقادير لصاحب الحال لا نريد أن ندخل بها حيث إنها لا تؤثر. على أكثر التقادير يكون قوله ﴿عالِيَهُمْ﴾ صاحب الحال فيهم الأبرار، أي الضمير يرجع حينئذ إلى الأبرار. وعلى بعض التقادير سوف يرجع الضمير إلى الولدان المخلدين. فيتفاوت حينئذ المعنى، فالذي يرتدي هذه الثياب ويتحلى بهذه الأساور ويشرب ذلك الشراب هل هم الأبرار أم هم الولدان المخلدون؟

هذا واقع خلاف آخر في المسألة، ولكن مما ذكرناه سابقاً من أن ذكرى الولدان المخلدون كان لأجل بيان نعمة ترتبط بالأبرار، فلا معنى لأن يستغرق في ذكر أوصاف هؤلاء والنعم التي أعطيت لهؤلاء.

فهذا الاحتمال في غاية البعد، وباعتقادي أن الذي جعل من يذهب إليه يعتمد على هذا القول هو المقطع الثالث ﴿وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُورا﴾ لأن مسألة السقي بالنسبة للأبرار قد تقدمت، ولا معنى

[1] الأنفال: 42

لأن تكرر حينئذ، بينما لو جعلنا هذا السقي للولدان المخلدين، فهذه المسألة لم تتكرر سابقاً، فيصبح هناك معنى جديد.

فلان الأمر يدور بين التكرار والتأكيد والتأسيس والمعنى الجديد، فالحمل على التأسيس أولى، فيكون قوله ﴿عالِيَهُمْ﴾ يرجع الضمير إلى الولدان المخلدين.

لكن سوف يأتي في المقطع الثالث أن الحديث عن الشراب هنا وإن كان قد تقدم، لكن فيه نكتة في غاية الأهمية لا تتم إلا إذا كان الكلام عن الأبرار.

إذاً من المحتمل -لا نريد نقف كثيراً عند الإعراب- أن يكون ﴿عالِيَهُمْ﴾ ظرف وهو خبر مقدم، وثياب السندس مبتدأ مؤخر. كما أنه من المحتمل أن تكون حالاً، وهذه الحال إلى أي شيء أرجعناه سابقاً مما ذكر له النعم يرجع في الواقع إلى الأبرار بعد إبطال أن يرجع إلى المخلدين.

فإذاً ﴿عالِيَهُمْ ثِيابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ اللباس المصنوع من الحرير متعارف عند العرب أنه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الذي يكون رقيقاً ناعماً، وهذا يسمى عندهم بالسندس.

القسم الثاني: الذي يكون خشناً شديداً، وهذا يسمى عندهم بالإستبرق.

فيكون هذا المقطع فيه إشارة إلى تنوع لباسهم، وأن هؤلاء يرتدون الحرير بأنواعه، فثوبهم الذي يرتدونه فيه حرير ناعم وفيه حرير خشن، كما تقتضيه التناغم في هذا اللباس، قد تكون بطانته ناعمة وظاهره الخشن، وقد يكون الأمر بالعكس، ففيه شيء من التنوع.

وبهذا المعنى يكون ثياب سندس الإضافة فيه إضافة بيانية، من قبيل خاتم حديد أي خاتم من حديد، و﴿ثِيابُ سُندُسٍ﴾ أي ثياب من سندس وثياب من إستبرق.

أما كلمة ﴿خُضْرٌ﴾ باعتبار أنه على هذه القراءة المشهورة هي مرفوعة، فلا شك أنها حينئذ تكون وصفاً للثياب، ثياب خضر، ثياب سندس خضر، فالثياب لونها أخضر. ويقال إنه في تلك الأزمنة أن الحرير المائل نحو الخضرة هو الأشهر في لباس الملوك والأمراء ومن شابه هؤلاء.

فإذاً يكون هذا المقطع للإشارة إلى أنهم يتنعمون بأفضل أنواع الألبسة.

أما كيف صح أن تقع كلمة خضر صفة لثياب مع أن ثياب جمع؟ فهذا في كتب النحو[2] أجابوا عنها بشكل واضح ومفصل، فلا نطيل الحديث في ذلك.

[2] هناك أربعة مواضع -في النحو الوافي- لا تطابق الصفة موصوفها:
1- إذا كان الموصوف جمعا لغير العاقل، فإنه يجوز في الصفة أن تكون مفردة، أو جمعا مؤنثا نحو: رأيت خيولا سابقةً أو سابقاتٍ.
2- إذا كانت الصفة مصدرا، فإنها تلزم الإفراد والتذكير سواء كان الموصوف مثنى، أم جمعا، أم مذكرا، أم مؤنثا نحو: جاء رجالٌ عدلٌ، ونساءٌ عدلٌ، ورجلان عدلٌ.
3- إذا كان الموصوف اسم جمع نحو: هؤلاء قوم صالح أو صالحون
4- إذا جاء الصفة على هذه الأوزان الخمسة الآتية فإنها تبقى بلفظ واحد مع الموصوف سواء كان مذكرا أم مؤنثا وهي:
• على وزن (فَعُول) نحو: امرأةٌ صبور ورجل صبور.
• على وزن (فَعِيل) نحو: امرأة جريح ورجل جريح.
• على وزن (مِفعال) نحو: امرأة مكسال ورجل مكسال.
• على وزن (مفعيل)نحو: امرأة مسكين ورجل مسكين
• على وزن (مفعل) نحو: امرأة مهذرٌ ورجل مهذرٌ.